فالرمز ، بما هو ايحاء مكثف نوعا وكما ، يشكل اختزالا واجتزاء لرؤية تدعي التعميم والاطلاق لظاهرة ما ليس على المستوى الاجتماعي (المكاني) فقط ، بل ايضا على المستوى التاريخي (الزمني) ٠

ان الرمز بحد ذاته عملية جدلية ممتلئة زخما وخصبا ، في كونه المجال الذي يتم عبره اختصار واقع ما واطلاقه في آن معا ، وفي كونه معبرا في هذا التحول الذي يؤديه عن رؤية ووضع خصوصيين ومحددين ٠ وهنا تكمن قيمته ، وهنا يكمن خطره في آن ٠ وما يحسم امره طريقة استعماله بحد ذاتها ٠ على ان قيمته ليست معطى مسبقا بل ممارسة جدلية هي الاخرى ٠ وان خطره يكمن بالتحديد في اغفال هذا الامر ، والتعامل اليهفيلي معه كأنه جدلية هيغيلية ٠ اي اعتبار دلالته معطى جامدا ومنفصلا عنه وقائما لذلك قبله ، وان توسله شكلية محضة ٠ بينما تكون الممارسة الجدلية في استعمال له يبدي تدخله وتأثره معا في وبكل من الطرفين اللذين ينهض لتأديتهما معا ٠ فيعيد الى الاطلاق والتعميم محدوديتهما وتاريخهما في البنية العامة للانتاج الادبي ، جامعا بذلك على تمايز خاص فيه بين هذين الوجهين المتداخلين في ترابط مدهش : الابداع الفني والرؤية التحريرية ٠

وكنفاني هنا اذ يحاول تقديم رواية واقعية بأبعاد رمزية ، (*) كما تشير الى ذلك ملاحظاتنا الاولية حول مطلع روايته ، فانه يحاول استعمالا جدليا للرمز في ذلك التفاعل الجدلي الذي يقيمه بينه وبين الواقع محددا عبر ذلك رؤيته التاريخية ـ الاجتماعية ، او بالاحرى موقفه التاريخي الاجتماعي ٠ محاولة لا يمكن الحكم عليها الا بتتبع آلية انتاجها تفصيليا ٠ الا ان ما يجدر تبيانه قبل ذلك تلك البنية التي تندرج هذه الآلية فيها وتصيغها معا ٠ على ان هذه البنية تحدد الموقف العام للكاتب ٠

فالرواية تقدم لنا حكاية فلسطينيين ثلاثة يموتون اختناقا على الحدود الكويتية ، في محاولتهم الوصول خلسة (تهريبا) الى الكويت من البصرة في العراق داخل خزان ماء شاحنة يقودها سائق فلسطيني يعمل عند احد الاثرياء الكويتيين صاحب الشاحنة المذكورة ٠

لقد ماتوا بسبب هذا الالتحام الدنيوي المكاني ـ الزماني المتمثل في اتجاه تحركهم الذي فرض عليهم وضعا محددا (داخل الخزان) ومدة معينة فيه (حوالي ٢٠ دقيقة) ، هذا الاتجاه الذي كان في حد ذاته مؤشر التهديد المتفاقم ، والذي وصل في الالتحام المكاني ـ الزماني المذكور الى مرحلة الخطورة القصوى ٠

وفي ذلك تتبدى بنية الرواية العامة ٠ ان الانقطاع عن الارض (فلسطين) يشكل تهديدا بالخيانة والعجز والموت ، وتزداد خطورة هذا التهديد بنسبة الابتعاد المكاني ـ الزماني عن هذه الارض ٠ فالحقيقة والصدق لا نجدهما الا في تلك الارض ٠ فالاستاذ

(*) راجع حديثا جرى بينه وبين احسان عباس في هذا الصدد كما ينقله هذا الاخير في مقدمته لانتاج غسان كنفاني الروائي : (**الآثار الكاملة** : الروايات ، ص ١٥ـ١٦ ٠٠)